التجريب في الشكل الروائي وتطور تقنيات السرد في المسرواية للسيد حافظ

الباحثة/ ريم يحيى عبد العظيم حسانين
إشراف
الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الله حسين

ملخص البحث:

إن قوة التعبير ترجع إلى ما تثيره الكلمات والعبارات من معانٍ وصورٍ واضحةٍ في ذهن المتلقي، فاللغة كائن حي؛ تتكاثر فيها الألفاظ؛ لتكون قادرة على مواكبة حياتنا اليومية؛ لأنها أحد أهم الركائز الأساسية للرواية، ومن خلالها تتشكل جميع العناصر الأخرى في العمل الروائي، فالخطاب الروائي لا يمكن أن يتحدد بالحكاية فحسب، بل بما يتضمنه من لغة؛ توحي بأكثر من أحداث وشخصيات مشاركة في الحدث، بل وأيضا بالأماكن والأزمنة التي تدور في أحداثها الرواية، فقد استطاع الكاتب من خلال لغته البسيطة وتجديده في مستويات لغته؛ أن يوصل أفكاره للقارئ/ المتلقي لأحداث الروايات.

تتطور دراما الأحداث في أسلوب شعري أخاذ؛ يتميز به الكاتب، مع التطور الدرامي السلس للأحداث ولشخصيات الرواية، وطقوس سلوكياتها اليومية بارتكاب الحدث، أو التأثر به، وارتباطها بساحات انفجاراتها، وأجواء الصراع الناشئ مع هذه الشخصيات، ومن خلال قراءة المتلقي لهذه الروايات؛ يجد نفسه أمام مسرحية تاريخية ملحمية ممزوجة بسيرِ عشاق؛ ليسوا من الخيال، وإنما من الواقع، وتلك الواقعية أكسبت الرواية مسؤولية تقديم العرض الروائي على شكل مشاهد غارقة في الشفافية والصدق.. فليس بالضرورة أن تبنى الأحداث على خيال الكاتب، وإنما أن يوظف الكاتب الخيال لخدمة الواقع من دون أن يؤثر ذلك على بنية الرواية، وكأن الكتابة إعادة خلق شيء من شيء آخر أو بعث للروح.

فكرة أن الرواية تتكون فقط من الوصف والحبكة والشخصيات؛ هي فكرة ليست صحيحة، فهي تتكون كذلك من القالب والشكل، والبناء والتراكيب، وأنها ليست فقط نقدا واحتجاجا على الحياة وحتى الكتابة في الأعمال الأدبية لم تقتصر على اللغة الفصحى فقط، بل تنوعت؛ لتشمل اللهجات الأخرى واللغات الدخيلة داخل نصوصها، لذا فالرواية قد توسعت لتشمل وتحوي الكثير بداخلها.

الكلمات المفتاحية: (تطور، لغة، شخصية، حوار، سرد، مسرواية)

Summary:

The power of expression is due to the meanings and clear images that words and phrases evoke in the mind of the recipient. Language is a living being; words multiply in it; to be able to keep up with our daily lives; because it is one of the most important basic pillars of the novel, and through it all other elements in the novelistic work are formed. The novelistic discourse cannot be determined by the story alone, but by what it includes of language; suggesting more than one event and characters participating in the event, and also by the places and times in which the events of the novel take place. The writer was able, through his simple language and his renewal of the levels of his language, to convey his ideas to the reader/recipient of the events of the novels.

The drama of events develops in a captivating poetic style that distinguishes the writer, with the smooth dramatic development of the events and the characters of the novel, and the rituals of their daily behaviors in committing the event, or being affected by it, and their connection to the arenas of its explosions, and the atmosphere of the conflict arising with these characters, and through the recipient's reading of these novels; he finds himself in front of an epic historical play mixed with the biographies of lovers; who are not from imagination, but from reality, and this realism has earned the novel the responsibility of presenting the narrative presentation in the form of scenes immersed in transparency and honesty.. It is not necessary for the events to be based on the writer's imagination, but rather for the writer to employ imagination to serve reality without that affecting the structure of the novel, as if writing is a recreation of something from something else or a resurrection of the spirit.

The idea that the novel consists only of description, plot and characters is not true, as it also consists of form and shape, structure and compositions, and that it is not only a criticism and protest against life, and even writing in literary works was not limited to the classical language only, but rather diversified to include other dialects and foreign languages within its texts, so the novel has expanded to include and contain a lot within it.

Keywords: (development, language, character, dialogue, narration, drama)

المقدمة:

لقد مرت الرواية العربية بمراحل مختلفة من التطور والتجديد سواء على مستوى المضمون أو الشكل، ولأن الرواية التقليدية؛ تنهض على مجموعة من العناصر كالشخصية والحبكة والزمان والمكان والحدث واللغة، وتلتزم بالمنطق القائم على تحليل الأشياء، وربط بعضها ببعض، فإن وقوع الأحداث فيها مرتبط بمبرر ما، والشخصية الروائية تعامل معاملة الكائن الحي، فتوصف من خلال ملامحها الخارجية، ومنها: الملابس والطول والسن والوجه...

أما الأمور الداخلية، فمنها: الأهواء والهواجس والخوف والحب...، وذكر انتمائها الفكري والسياسي إلى جانب البعد الاجتماعي. وهذا إذا كانت الشخصية تلعب الدور الأكبر في الرواية التقليدية؛ حيث تهيمن النزعة التاريخية والاجتماعية والأيديولوجية على كتاب تلك المرحلة، ومن هنا؛ ظهرت محاولات روائية تزعزع ثبات البنية الروائية التقليدية للرواية مستحدثة بنى جديدة خاضعة للتجريب؛ يتنوع فيها الشكل الروائي، وتتجدد عناصره، وتظهر من خلالها حالة القلق والحيرة التي يشعر بها الفرد في ظل تسارع الأحداث من حوله وتلاحقها.

أهداف الدراسة:

تطمح هذه الدراسة إلى استيعاب هاجس من هواجس الرواية العربية المعاصرة؛ يتمثل في طموح الرواية إلى التفاعل الخلاق مع الأجناس الأدبية الأخرى، وبخاصة فن المسرح، والتفاعل بين الرواية والدراما، الذي يشير، في أحد جوانبه إلى مرونة الفن الروائي وقدرته على أن يفيد من معطيات الفنون الأخرى بهدف تطوير الشكل الروائي ومزاولته؛ كي يستوعب معطيات وتقنيات جديدة للوصول إلى رواية عربية؛ تعبر عن الوعي الفكري والجمالي للعصر الذي تنتمي إليه دون أن تفقد الكتابة الروائية، عبر هذه المثاقفة الواعية سماتها وخصائصها وهويتها المرنة

الدراسات السابقة:

يتضح من خلال البحث في كشاف الرسائل الجامعية والمواقع الإلكترونية وغيرها؛ أنه لا توجد دراسة تتناول، أو تحمل عنوان: "التجريب في الشكل الروائي و تطور تقنيات السرد في المسرواية للسيد حافظ" من قبل؛ من هنا كان اختيار هذا الموضوع لعله يضيف إلى مكتبة الأدب العربي دراسة جديدة تؤطر هذا الاتجاه، وتسبر غور مسالكه في روايات هذا الأديب المصري الذي أعتقد ــ رغم ملاحظاتي على أسلوبه ــ أنه لم ينل حظه من الدرس والنقد في مصر والوطن العربي.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الفني الذي يحاول الولوج إلى فنيات النص الروائي، والوقوف على جمالياته من خلال آليات ذلك المنهج تحليلا للظواهر الفنية المتعددة التي تعتمد على رصد الرموز والإشارات التي تقوم برد العمل إلى جنسه.

حدود الدراسة:

تدور هذه الدراسة في حدود عنوانها، وهو: " التجريب في الشكل الروائي وتطور تقنيات السرد في المسرواية للسيد حافظ"، مع تقديم الشواهد من خلال النص، ومدى اتساقها مع موضوع الدراسة.

وقد بنيتها على ما يلي:

مقدمة: تشتمل على التعريف بالموضوع وأهميته.

التمهيد: وفيه بيان المقصود ب " التجريب في الشكل الروائي وتطور تقنيات السرد في المسرواية للسيد حافظ".

الخاتمة: وتتضمن النتائج.

قائمة المصادر والمراجع.

والله أسأل التوفيق فيما قصدت إليه في هذه الدراسة، وأن تكون خالصة لوجهه الكريم.

تمهيد:

لقد اصطلح النقاد على تسمية هذا النوع من الروايات التجريبية بـــ "الروايات الجديدة"؛ حيث تخلصت الرواية من تبعيتها للعالم والواقعية المعبر عنها في التنظيرات القديمة التي كانت قائمة على نظرية الانعكاس، أو على استدراك النقص الماثل في الواقع، وقد أسهم الشكلانيون الروس في رسم معالم جديدة لدراسة أنماط الحكي بشكل عام، وهو ما مكن بصورة جلية من توجيه الدراسات النقدية نحو مجالات بعينها، فتركيزهم على الخصوصية التي تجعل من الأدب أدبا قد وجه أغلب الأبحاث التي أتت فيما بعد إلى دراسة أفكار النصوص الإبداعية.

وتحتل الشخصية مكانة خاصة في النص الروائي؛ حيث إنها تعد عامل ربط قويا بين مختلف البنى السردية الأخرى، لذلك يوليها الروائيون أهمية خاصة عند حديثهم عنها سواء في الأوصاف المقدمة لها، أو الأدوار الموكلة إليها، ويهتم بها النقاد لكونها تقنية ضرورية للرواية والسرد بشكل عام، وقد ورد تعريف كلمة "شخص" أن: "الشَّخْصُ: جماعةُ شَخْصِ الإنسان وَغَيْرِه، مُذَكَّرٌ، وَالْجَمْعُ أَشْخاصٌ وشُخُوصٌ وشِخاص"(١)، وأنه " كل جسم لَهُ ارْتِفَاع وَظُهُور وَغلب فِي الْإِنْسَان و (عِنْد الفلاسفة) الذَّات الواعية لكيانها المستقلة فِي إرادتها وَمِنْه (الشَّخْص الأخلاقي) وَهُوَ من توافرت فِيهِ صِفَات تؤهله للمشاركة الْعَقْلِيَّة والأخلاقية فِي مُجْتَمع إنسان"(٢).

هذا على جانب التعريف اللغوي، تعريف الشخص على المستوى الاصطلاحي، فإن "الأصل في كلمة (personality) أنها مشتقة من لفظ لاتيني، ومعناه القناع، أو الوجه المستعار، الذي يظهر به الشخص أمام الغير، وكان هذا اللفظ مرتبطا بالتمثيل المسرحي"(٣)؛ حيث تعد الشخصية "من أبرز عناصر العمل الروائي، فهي مادة السرد، وهي صانعة الأحداث، بل هي صاحبة الأحداث، ومنها تشع الحياة والحركة في أوصال العمل الروائي"(٤).

وقد هدم آلان روب مفهوم الشخصية التقليدي فيقول: "لقد سجل موت الشخصية أكثر من مرة، وقام بهذا أعظم النقاد وأكثرهم جدية، ومع ذلك لم تستطع أي قوة أن تسقط الشخصية من على المنصة التي وضعها القرن التاسع عشر عليها. إنها الآن مومياء، ولكنها ما زالت تحتل الصدارة بنفس العظمة ــ الوهمية ــ بين القيم التقليدية التي يحترمها النقد التقليدي"(٥)؛

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م، ٤٥/٧.
(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م، ٤٧٥/١.
(٣) بركات، محمد خليفة، تحليل الشخصية، دار مصر للطباعة، ط٢، ١٩٥٤م، ص٤.
(٤) قصاب، وليد إبراهيم، من قضايا الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٧٨.
(٥) جرييه، آلان روب، نحو رواية جديدة، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص٣٤.

إذ إن "فكرة كون الشخصية عنصرا مهما ــ في هذا التلاحم ــ لم تظهر إلا في بداية القرن العشرين، وذلك مع "الشكلانيين الروس" الذين أحدثوا التجديد الحقيقي من حيث دراسة المميزات والملامح الأدبية الخالصة في الإنتاج الأدبي"(١).

لقد رأى النقاد أن الشخصية هي التي تنمو وتكبر في المواقف الاجتماعية، من عادات واتجاهات، وهي التي تقوم بالتعبير عن ذاتها ونفسها، من خلال التأثر بالأشخاص الآخرين، أو المجتمع بحيث تتفاعل معه من خلال كسب عمليات التعلم؛ في الوقت الذي يرى فيه علماء النفس أن "الشخصية هي مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية، كذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة"(٢).

وإذا كانت اللغة هي: "كل صَوت يعبر بِهِ عَن الْمَعْنى الْمَتْصَوَّر فِي النَّفس لُغَة"(٣)، فإن كل لغة هي "صَوت يعبر بِهِ عَن الْمَعْنى المتصور فِي النّفس وَأما وَزنهَا وتصريفها وَمَا تحلل إِلَيْهِ من الْحُرُوف، وتتركب عَنهُ فَهِيَ فعلة مركبة من ل، غ، و، هـ. وإليها تَنحَلُّ لِأَن التّحَلُّل إِنَّمَا هُوَ إِلَى مثل مَا يَقع عَلَيْهِ التركب يُقَال لَغَوتُ أَي تَكَلّمت وَأَصلهَا لُغوةٌ ونظيرها قُلَةٌ وكُرَةٌ وثُبَةٌ كلهَا لامها وَاو لقَولهم قَلَوتُ بالقُلَةِ وكَرَوتُ بالكُرَةِ ولِأَن الثُّبَةَ؛ كَأَنّهَا من مقلوب ثَابَ يثوبُ وَالْجمع لُغاتٌ ولُغُونَ ككُرات وكُرينَ يجمعونها بِالْوَاو وَالنُّون إِشعاراً بِالْعِوَضِ من الْمَحْذُوف مَعَ الدّلَالَة على التّغْيِير وَرُبمَا كسروا أَوَائِل مثل هَذَا"(٤)، واللغة: "مِنَ الأَسماء النّاقِصَة، وأَصلها لُغْوة مِنْ لَغا إِذا تَكَلَّمَ"(٥).

أما عن تعريف اللغة اصطلاحا فهي: "مجموعة من الكلمات؛ يعالجها المرء باعتبارها "موضوعات"...، واللغة، من الناحية الأساسية، أكبر من هذا وأصفى، وأكثر نفاذا من سياق الكينونة أو الوجود، وأكثر حضورا مما نتصور في إطار علوم اللغة أيضا"(٦)، وكما أن للغة عند هيدجر "أولية على المتحدثين بها من حيث إنها تحدد هويتهم وتجلبهم إلى حالة حضور، كذلك فإن اللغة لها أولية على فعل التحدث والكلام نفسه"(٧)، فاللغة ليست مقصورة إذن على الكتابة فقط، بل هي تنشأ على لسان المتحدثين، ويتجلى حضورها على ألسنتهم من خلال حياتهم اليومية، فنشأتها الكتابية ما هي إلا قصص وحوادث؛ تحدث في الوقع، أو في مخيلات الكتاب والأدباء.

---

(٦) قيسمون، جميلة، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، العدد١٣، ٢٠٠٠م، ص١٩٨.

(١) ربيع، محمد شحاته، علم نفس الشخصية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط١، ٢٠١٣م، ص٣٢.

(٢) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ٣٥/١.

(٣) المخصص، مصدر سابق، ص ٣٦.

(٤) لسان العرب، مصدر سابق، ج١٥، ص٢٥٠.

(٥) ناصف، مصطفى، نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط١، ٢٠٠٠، ص٨٣.

(٦) توفيق، سعيد، في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص٣١.

وكذلك، فإن اللغة هي الركيزة الأساسية في بناء أي عمل أدبي، وقد أعلى النقاد من أهمية الكتابة وشأنها على أهمية اللغة في الأعمال الأدبية، فالكتابة لن تنشأ دون وجود اللغة، "ومما يزيد من الأهمية التي لا تستحقها الكتابة هي اللغة الأدبية التي كتبت بها...، ويتحكم في اللغة نظام معين، والنظام نفسه يتألف من قواعد معينة للاستعمال، أي نظام الكتابة. ولذلك تكتسب الكتابة الأهمية الأولى، وينسى الناس أنهم يتعلمون الكلام قبل تعلمهم الكتابة"(١).

ودائما يغفل الكثير من النقاد والمفكرين عن اللغة، فاللغة الكتابية هي ما تبنى عليها الأعمال الأدبية، وليست الكتابة فقط؛ لأنها هي التي تضفي على الكتابة قوة وأهمية لجذب القراء والنقاد إليها، فـ "تحليل الحديث لا يعنى بالتفاعلات من خلال المادة اللغوية، أو شبه اللغوية فحسب"(٢)، بل يعني ذلك أن اللغة لها مستويات وأنظمة متعددة؛ يمكن تحليل كل مستوى منها على حدة، فقيمة النقد الأدبي من قيمة اللغة، وأن هذه "القيمة ستظل حاضرة في أي تحول في النقد الأدبي، فالمادة الخام للأدب هي اللغة"(٣).

وإذا "كانت العلامات اللغوية (الكلمات)؛ يمكن أن تتساوى من حيث دلالتها مع غيرها من أنواع الدلالات، فإن للغة الطبيعية بعدها الدلالي الذي تتميز به... وهذا هو قابلية العلامات اللغوية للدخول في علاقات مكونة جملا، ثم قابليتها بعد ذلك للتنامي بالجمل لكي تكون نصا"(٤)؛ ذلك لأن اللغة "ليست ألفاظا فحسب، بل هي بالإضافة إلى ذلك، تراكيب ونصوص مختلفة يحدد مميزات كل واحد منها السياق الذي ورد فيه، والظروف التي أنتج فيها"(٥).

ولأن تلك التراكيب اللغوية تختلف من كاتب إلى آخر حسب الظروف النفسية والمجتمعية التي أنتج فيها قصته وعمله الأدبي، فإن لكل عمل مميزاته وسماته الخاصة به، فهؤلاء الكتاب من خلال لغتهم الكتابية ؛ "يوقظون فينا أحاسيس الحيوية الإنسانية المتدفقة في دواخلنا"(٦)، وإننا "حين نقرأ القصة نتمثل الحادثة فيها، ولكن من خلال تلك الألفاظ المنقوشة على الورق، أي من خلال اللغة"(٧).

فكرة أن الرواية تتكون فقط من الوصف والحبكة والشخصيات؛ هي فكرة ليست صحيحة، فهي تتكون كذلك من القالب والشكل، والبناء والتراكيب، وأنها ليست فقط نقدا واحتجاجا على الحياة؛ بل إنها "تصنع الحياة، وإنها خيال لغوي مشابه لكل الخيالات أو الأخيلة

(١) دي سوسير، فردينان، علم اللغة العام، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ط٣، ص٤٤.
(٢) مانغونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص٣٣.
(٣) فاولر، روجر، اللسانيات والرواية، ترجمة أحمد صبرة، مؤسسة حورس للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص٨.
(٤) أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٤م، ص٨٦.
(٥) الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ص١٢٠.
(١) ب. هينكل، روجر، قراءة الرواية، ترجمة صلاح رزق، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م، ص٢٢٦.
(٢) إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه: دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٩، ٢٠١٣م، ص١٠٤.

الأخرى التي نبدعها حين التصدي لشرح وتنظيم تجربة ما لنبين الواقع"(١)، وحتى الكتابة في الأعمال الأدبية لم تقتصر على اللغة الفصحى فقط، بل تنوعت؛ لتشمل اللهجات الأخرى واللغات الدخيلة داخل نصوصها، ومن الواضح "أن اللهجات، بدخولها إلى الأدب ومساهمتها في لغته، تفقد صفة كونها أنساقا اجتماعية. لسانية مغلقة... غير أنها من جانب آخر، تحافظ عند دخولها إلى اللغة الأدبية، على مرونتها اللهجوية"(٢).

مستويات اللغة:

لقد تنوعت اللغة كثيرا في روايات "السيد حافظ" ما بين اللغة الفصحى واللغة الدارجة (العامية المصرية والشامية) واللغة الدخيلة، فبدا تعدد المستويات اللغوية واضحا في رواياته كلها، وذلك من خلال تناسق وانسجام مميز، وهو ما أضفى بعدا جماليا من نوع خاص على رواية "نسكافيه" خاصة، وعلى الروايات الأخرى عامة.

لقد استخدم الكاتب اللغة الفصحى في رواية "نسكافيه" في أفعال وحيد مع لمى:

"فوجئت لمى أن وحيد سالم أخرج علبة جميلة بها مائة عقد ياسمين وفل وأخذ ينثرها على السرير أغمضت عينيها كيف لرجل يعاملها كملكة، وأن السرير يجب أن يليق بها وبحالة بهائها الجمال والشموع والبخور والشمبانيا والسرير عليه الفل.."(٣).

واستخدم الكاتب اللغة العربية الفصحى أيضا في رواية "قهوة سادة.. قهوة زيادة" في:

"مشت معي إلى إحدى الطاولات وجلسنا لنشرب قهوة سادة.. أحلم بالقاهرة والنيل والمساء وكوبري قصر النيل وشارع جامعة الدول العربية ونادي نقابة الممثلين، وهواء القاهرة الغريب.. القاهرة غير الإسكندرية لها عشق خاص ومسك الهواء فيها غير.."(٤).

أما في رواية "كابتشينو"، فيظهر مستوى اللغة الفصحى في:

"صعدت الجبل، والعصفور يطير فوقها كأنه حارس كأنه طفل شقي يراوغ صديقته أو حبيبته.. لأول مرة ترى الجبل من فوق الشجر، وهواء بارد يداعب الروح قبل القلب والجسد.. مشت على القمة.. القمة دوما ناعمة وفارغة ولذيذة الإحساس.."(٥).

كانت سهر لأول مرة ترى الجبل من فوق الشجر عندما صعدت إليه، وكان عصفورها يطير فوقها؛ كأنه حارس أو طفل شقي يراوغ صديقته، فكان الهواء باردا يداعب روحها قبل قلبها، ثم مشت على قمة الجبل، وحينها ظهر الأستاذ كاظم.

---

(٣) برادبري، مالكوم، الرواية اليوم، ترجمة أحمد عمر شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١١.

(٤) باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص٦٤.

(٥) حافظ، السيد، نسكافيه، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.، ص٣٥.

(١) حافظ، السيد، قهوة سادة.. قهوة زيادة، دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠م، ص٧٩.

(٢) حافظ، السيد،كابتشينو، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط٢، ٢٠١٧م،ص١٠٨.

ويبدو مستوى اللغة الفصحى في رواية "شاي بالياسمين" في:

"بعد أيام.. ذهبنا أنا وتهاني إلى زيارة صديقي محمد مختار وزوجته العروس.. حكى لي كيف حول ورشة الميكانيكا إلى معرض بيع ألبان. كان أول لقاء بفتحي رضوان.. كانت تهاني ترى القاهرة ساحرة وكالقمر ولكنها زحمة وكافرة لا ترحم أحدا في زحامها"(١).

إن الراوي من خلال كلماته يصف لنا القاهرة من خلال عيون خطيبته تهاني، فهي ترى أن القاهرة مدينة ساحرة كالقمر، فعندما زاروها معا؛ كان لزيارة صديقه الذي تزوج حديثا، وقد حكى له صديقه محمد عن كيفية تحويله ورشة الميكانيكا الخاصة به إلى معرض لبيع الألبان.

وقد ظهر استخدام الكاتب مستوى اللغة الفصحى وتوظيفه لها أيضا في رواية "شاي أخضر" بشكل جيد في:

"أما في القصر فكانت الأمور تسير بشكل روتيني حركة شديدة في صمت شديد.. ورهبة.. كان الحاكم يرغب في تحقيق العدل على الأرض ويرى أن مصر لا ينقصها إلا العدل؛ فالظلم بين البشر والقانون، والناس يظلمون بعضهم بعضا.. وأصبح الظلم سلوكا لا يراه المصريون.."(٢).

كان الحاكم بأمر الله خليفة مؤمنا؛ يحب العدل ويكره الظلم، فقد أراد أن يحقق العدل على أرض مصر، وقد رأى أن مصر كلها لا ينقصها سوى العدل؛ لأن الناس يظلمون بعضهم، وأصبح الظلم عندهم سلوكا لا يرونه.

كما برزت اللغة الفصحى في رواية "كل من عليها خان" في:

" نزلت إلى سيارتي في الجراج وهبطت من المصعد إلى السيارة متجها نحو الشارقة حيث أسكن.. عند حديقة الصافية.. سوف آخذ زوجتي تهاني إلى بيت سهر في المساء. عند وصولي للبيت ذهبت إلى الحمام مسرعا ثم اتجهت للنوم نصف ساعة حتى أفصل.."(٣).

كان فتحي وزوجته مدعوين في بيت منقذ وسهر في المساء، وكان مكان سكنه في الشارقة عند حديقة الصافية، والمسافة بين الشارقة ودبي تأخذ وقتا طويلا، لذا عند عودته من العمل؛ توجه سريعا إلى الحمام، ثم اتجه؛ لينام ويستريح قليلا.

(٣) حافظ، السيد، شاي بالياسمين، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط١، ص١٠٢.

(١) حافظ، السيد، شاي أخضر، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط١، ص٧٣.

(٢) حافظ، السيد، كل من عليها خان، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط١، ٢٠١٥م، ص١٤٠.

وتبدو أيضا اللغة الفصحى في رواية "حتى يطمئن قلبي" في:

"كاظم كان مدرس سهر في الثانوية بقرية تابعة لمحافظة السويداء سهر هي حبه الأول.. كم ذاب فيها عشقا حتى ذاب القلب مرات ومرات.. كم تعذب وكيف ورطته زميلتها وردة حين هربت من أبيها وذهبت إليه في البيت وطالبوه بالزواج منها حفاظا على سمعة المختار"(١).

ذكر ذهاب وردة وهربها من أبيها إلى منزل الأستاذ كاظم كان خاطئا، فقد ذكر الكاتب أنها ذهبت لزيارته في المستشفى بعدما مرض لمعرفتها بخطبة سهر، فكانت سهر هي حبه الأول وقد ذاب فيها عشقا، ولكنه تورط بعد ذلك في الزواج من وردة؛ بعدما شاع عنها أنها ذهبت لزيارته في المستشفى، وقد ذهب أبوها المختار لمنزله في الشام حتى يطلب منه أن يتزوج ابنته حفاظا على سمعتها وسمعة المختار.

وجاءت اللغة الفصحى أيضا في رواية "ما أنا بكاتب" في:

"بات عباس حلمي مهتماً ببناء القصور ويصرف عليها ببذخ تاركا المؤسسات الأخرى بلا ميزانية. فألغى المدارس والتعليم المدني فقد كان يعتقد بمذهب محمد بن عبد الوهاب الذي تعلم بالأزهر الشريف بعد أن عاد إلى وطنه بلاد الحجاز ونشر دعوته هناك"(٢).

كان عهد عباس حلمي يعد عهدا رجعيا لما فعله، فقد أغلق المدارس وألغى التعليم المدني، واعتنق أفكار محمد بن عبد الوهاب الذي تعلم بالأزهر، واهتم كثيرا ببناء القصور، وأنفق على إنشاءها ببذخ، وكان يترك مؤسسات الدولة الأخرى بلا ميزانية.

وقد بدا استخدام الكاتب لمستوى اللغة الدارجة الشامية وتوظيفه لها في رواية "نسكافيه" من خلال حديث وحيد مع لمى في:

" – بدك شي أجيبهولك من لبنان ؟؟

قـــال:

– أنت وقلبك وروحك عودوا لي سالمين!! ديري بالك على حالك"(٣).

كان الحوار بين لمى ووحيد سالم بعدما تقابلا في القاهرة، وكانت في طريق عودتها إلى لبنان، فقد اتفقا على الالتقاء في الكويت عندما يذهب هناك للعمل، لذا فكانت تسأله إذا كان يريد شيئا من لبنان؛ لتحمله معها إلى الكويت له في اللقاء القادم.

وكذلك فقد ظهر تمثل مستوى اللغة الدارجة المصرية أيضا في الرواية في:

–ذرة مشوي يا بيه

–الورد يحب الورد اشتري ورد للهانم يا بيه ربنا يخليها لك

(٣) حافظ، السيد، حتى يطمئن قلبي، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م، ص٢٠٢.

(١) حافظ، السيد، ما أنا بكاتب، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط١، ٢٠١٨م، ص١٠٠.

(٢) نسكافيه، ص٤٧.

-عرقسوس ساقع يا باشا أنت والهانم

-تحب مركب في النيل أنت والست"(١).

وهنا تبدو العامية المصرية على لسان البائعين المتجولين، وقد عرض أحدهم أن يشتري وحيد سالم لحبيبته ذرة مشوي، أو وردا، أو أن يشتري لها مشروب العرقسوس البارد، وعرض عليه أيضا ركوب مركب في النيل وحدهما.

كان الحوار السابق يدور بين راغب أخو وردة والأستاذ كاظم، فهذه هي حيلة وردة الجديدة للإيقاع بكاظم؛ لتراه بجانبها وقتا أطول من وقت المدرسة، لذا فقد أخبرت عائلتها بأنها تريد دروسا في اللغة العربية، وقد طلبت أن يكون مدرسها الخصوصي هو الأستاذ كاظم بالتحديد. كان اعتراض كاظم باديا عليه؛ لكن إصرار راغب مع إصرار مدير المدرسة؛ جعله يذهب رغما عنه، ويوافق على طلبهم.

وقد تجلت اللغة الدارجة الشامية في رواية "كابتشينو" في:

"-شفت أخوي أنقذ سهر من شوية شبيحة كان بدهم يتحرشوا فيها يا ريتهم خطفوها وريحونا

-ها؟

-شو ها؟

-في شي جديد آخر؟

-ترى أنت زعلان عليها والا شو..؟؟

شو..

قام وترك لها المكان.. صرخت:

-أنت قمت لشو مو عاجبك كلامي.. والا من شان هالبنت المايعة، اللي اسمها سهر.

-ما بحب تجيبي سيرة الناس.."(٢).

دار الحوار السابق بين كاظم ووردة عن محاولة راغب تمثيل الشجاعة أمامها، فاستأجر بعض الشباب حتى يتحرشوا بسهر، ومن ثم؛ يظهر هو كي ينقذها، فحكت وردة لكاظم ما حدث وتمنيها لو كانوا اختطفوها، وارتاحت هي منها، وعندما بدا عليه القليل من القلق؛ اغتاظت وحاولت خلق مشكلة مع زوجها.

وبرزت اللغة الدارجة المصرية أيضا في:

"-تفتكر أستاذ الجامعة مش دا رسول علم لازم يكون محترم؟

(٣) السابق، ص٩٧.

(١) كابتشينو، ص١٠٤.

قلت له:

–بكره يا شبل حتبقى أستاذ جامعة ونشوف حتبقى رسول علم والا تابع للنظـــام؟؟ أنـــت الأول على الدفعة..

ضحكنا.. قال شبل:

–الواد إبراهيم عبد المجيد مختفي النهار دة الظاهر قبض أول الـــشهر واختفـــى عـــشان مـــا يعزمناش على الغدا؟"(١).

وقد جاءت اللغة العامية المصرية في الحوار السابق بين فتحي رضوان وصديقه شبل الأول على الدفعة، عندما تساءل عن ضرورة أن يكون أستاذ الجامعة محترما لاعتقـــاده أنـــه رسول علم، لذا أخبره فتحي بأنه سيصبح أستاذا جامعيا هو الآخر، وسيرى وقتها هل سيصبح تابعا للنظام أم رسول علم فعلا؟!.

واستخدم الكاتب اللغة الدارجة الشامية في رواية "شاي بالياسمين" في:

–أنتم لشو مكتفين الراجل..؟ زعتر غلبان تاجر حمير.

صاح زعتر:

–الحقونى يا ناس أنا دفعت الضرائب على صبغة الحمير وكل حمار أحلق له أدفـــع ضـــرايب وكل حمار أبيعه أدفع ضرائب وكل حمار أشتريه أدفع ضرائب.

صاح الشرطي:

–وكل زبالة حتشيلوها أو تدفنوها تدفعوا ضرائب..

يسحب رجال الشرطة زعتر تاجر الحمير.. يصرخ زعتر:

الحقنى يامعلم قسام..

–الحقونى يا ناس

قال الشرطي:

– ماحدا بيلحقك.. دي أوامر الخليفة في مصر والوزير والوالي والقاضي"(٢).

وفي الحوار السابق كان إضراب التجار والزبالين عن دفع الضرائب بسبب القاضـــي والوالي، فقد كبل الشرطي زعتر تاجر الحمير، وكان يصيح لطلب المساعدة من الناس، فهـــو يدفع الضرائب عن كل شيء يفعله من صبغة الحمير أو حلقها أو بيعها، وكانت الحكومة فـــي الشام؛ تأخذ الضرائب عن كل شيء حتى عن دفن القمامة؛ لذلك، فقد اجتمع العمال والتجـــار، وقاموا بعمل إضراب عن العمل؛ ليخففوا الضرائب عنهم، أو يلغوها.

(١) كابتشينو، ص١١٩.

(٢) شاي بالياسمين، ص٥٢.

وجاءت اللغة الدارجة المصرية أيضا في الرواية في:

"– أستاذ فتحي لو عاوز تحول فلوس لمصر قولي أخلي حد يوديهم لك لحد البيت الدولار بثلاثة مصري

عرفت لحظتها أن الجنية المصري صار هزيلا وحقيرا..

– إن شاء الله.

– ولو عندك صحاب قولهم.

– إن شاء الله.

– أنت غلطت يا فتحي.. جبت زوجتك للإمارات كنت خليها في مصر لحد ما تعمل قرشين وتوفر فلوس للسكن والعربية"(١).

دار الحديث السابق بين فتحي رضوان وإبراهيم السعران الذي أخبره أنه إذا أراد أن يرسل أموالا إلى مصر، فبإمكانه أن يرسل شخصا إلى باب منزله؛ ليوصل له أمواله، وقد وصل الدولار إلى ثلاثة جنيهات، وإذا كان لديه أصدقاء، فيمكنه أن يخبرهم أيضا بأنه يستطيع أن يوصل لهم أموالهم إلى باب منزلهم، ثم تدخل إبراهيم فيما لا يعنيه عندما تحدث مع فتحي على أنه أخطأ حين أتى بزوجته إلى الإمارات قبل أن يدخر بعض الأموال لشراء سيارة وسكن لهم.

حوار آخر برزت فيه اللغة الدارجة الشامية في رواية "كل من عليها خان" في حديث سهر مع شهرزاد في:

"–شو قريتي في الفنجان يا خالتي شهرزاد؟

–شو أنت خبريني شو قصتك؟

–شو قريتي.. يا خالتي لا تعذبيني؟

–جاوبيني أولا.. منقذ زوجك مزعلك.. بينكم شيء؟

–لا.. شو قريتي؟

–قريت إنك تحبين فتحي المصري. صح ولا مو صح؟"(٢).

جاء الحوار السابق بالعامية الشامية بين سهر وشهرزاد؛ عندما أرادت سهر أن تقرأ شهر زاد لها الفنجان؛ لذا فقد دخلتا إلى غرفة سهر، وسألتها سهر، وهي تبكي عما رأت في فألها، ولكن شهرزاد أرادت أن تعرف أولا ما هو سر بكائها، وإذا كانت غاضبة من زوجها، فردت سهر بالنفي، وأرادت معرفة ما رأت شهرزاد في طالعها، فجاوبتها شهرزاد بأنها قرأت في الفنجان

(١) شاي بالياسمين، ص٢٨.

(١) كل من عليها خان، ص١٦.

أنها تحب فتحي رضوان المصري صديق زوجها، وعندما أقرت سهر بصحة ما قالته؛ استنكرت ذلك، ولطمت وجهها.

وجاء الحديث باللغة الدارجة المصرية أيضا في الرواية في:

"–أنا قرأت حوارك في الجريدة الجزائرية عن الأدب والمقاومة.. جميل جدا.. أنت كاتب جميل يا أستاذ فتحي.. محتاج دعاية ومدير أعمال.. واحد مثلي كده.

–إن شاء الله.

–واحد زيك كنز يا أستاذ فتحي إزاي مصر فرطت فيك؟

–مصر ما بتحبش حد ولا بتكره حد.. على البحري كده.. عشان كده مصر دولة عبقرية التسامح.. لا كراهية، ولا حب.. ولا بتفتكر، ولا بتنسى.. زي ما قال عمك صلاح جاهين.. وزي ما قال عمك نجيب محفوظ: "آفة حارتنا النسيان".. وقال لك صلاح الدين الأيوبي ذاكرتها كالزير المثقوب.. هههههه"(١).

في هذا الحوار السابق بين فتحي رضوان ومحمد مصطفى الذي أبدى إعجابه بمقالته؛ دار؛ أخبره بأنه يحتاج دعاية وإعلانات لمقالاته، وأن يعين له مدير أعمال، فهو كنز خسرته مصر، فكان رد فتحي رضوان عليه بأن مصر لا تحب أحدا، ولا تكره أحدا. هي دولة عبقرية في تسامحها، وقد تعلم أهلها صفة التسامح منها.

وفي سياق آخر تتجلى اللغة الدارجة المصرية في رواية "ما أنا بكاتب" في:

"–الظاهر حبيبة دي حلوة قوي..الناس بيقولوا جنية ليس لها مثيل في جمالها.

–عارفاها.. هههههههههه

–عارفاها ازاى؟ كيف يا بنت.؟

–الناس بتقول يعني.

–أصل الولد دا خام جدا يا سيرين.. ينكسف من البنات.. ويعرق..

–آه"(٢).

ففي هذا الحوار الذي دار باللغة العامية المصرية بين سيرين وسارة؛ لم تذهب سيرين لرؤية صديقاتها بعدما رآها أخو سلمى عارية، فأخبرتها سارة أنه مريض، وأن الشيخ يقول: إنه رأى جنية عارية؛ اسمها حبيبة، وهو شاب خجول جدا، وكان ذلك سبب مرضه بالحمى بعد رؤيتها.

(٢) السابق، ص٦٥.

(١) ما أنا بكاتب، ص٥٣.

ولأن الحوار بين الشخصيات يدور بلهجاتهم العامية ما بين المصرية والشامية، فقد جاءت اللغة الدارجة الشامية في موضع آخر من الرواية في:

"–جبنا سيرة القط جانا ينط.

–مو فاهم.؟؟

–انجلع ولد واطلع بره وسيبني معها؟

–مابتعرف عربي خالتي؟

–ما حنحكي عربي ولا انجليزي حنحكي كلام نسوان اتفضل اطلع.

–انكلع بره يا ولد

–شوفي يا لويزا..

–نعم

–أنا مابعرف إنجليزي بس أنت حتفهميني زين كلام نسوان.. اتركي الولد دا لمراته وابنته كاظم متزوج وعنده مرة جميلة فاهمة والا حبعت اجيب واحد يقوس عليك ونرميك"(١).

وفي ظاهرة لغوية أخرى؛ كانت اللغة الدخيلة حاضرة في روايات السيد حافظ، فالكاتب يستخدم القليل جدا من بعض اللغات في رواياته، ومن ذلك ما نجده في روايته "قهوة سادة.. قهوة زيادة":

"il file du mauvais coton" (٢)

واللغة الدخيلة هنا جملة باللغة الفرنسية؛ جاءت في مذكرات الزعيم الوطني محمد فريد، فقد سافر وقتها الزعيم مصطفى كامل إلى أوروبا؛ ليوضح قضية مصر للعالم، ويفضح الاحتلال الإنجليزي خاصة بعد حادثة دنشواي، وعندما عاد ذهب محمد فريد لمقابلته على الباخرة بالإسكندرية؛ كان ينتظرهما الدكتور رمضان في لوكاندة حيث همس له بأن مصطفى كامل مريض، وحالته الصحية غير مرضية، ولا بدَّ أنه مصاب بالسل، ومن ثمَّ؛ أخبره بهذه العبارة الفرنسية، ومعناها إنه يغزل القطن الرديء.

ووردت أيضا اللغة الدخيلة بالإنجليزية في رواية "كابتشينو" في:

"jesus christ super star "(٣)

حيث ظهرت في مشاهدة الراوي لمسرحية يسوع المسيح سوبر ستار في إنجلترا.

أما في رواية "شاي بالياسمين"، فقد ظهرت اللغة الدخيلة في:

"Faouk Hosny – Accademia Egiziana Via Omero- Roma – Italia " (١)

(٢) السابق، ص١٤٦.

(٣) قهوة سادة.. قهوة زيادة، ص١٦٣.

(١) كابتشينو، ص٣٠١.

كانت اللغة الدخيلة هنا؛ هي الإيطالية، وكانت عبارة عن عنوان منزل لشخص؛ يدعى فاروق حسني، كان قد أرسله كاتب الرسالة إلى الكاتب.

كما ظهرت اللغة الدخيلة أيضا في رواية "شاي أخضر" في جملة:

"in a royal style " (٢)

وقد وردت العبارة هنا باللغة الإنجليزية في كتاب الدكتورة نعمات أحمد فؤاد (صناعة الجهل)؛ حين تحدثت عن أنور السادات؛ قائلة: إنه فرح لأن الصحف الأجنبية كتبت عن أنه يعيش حياة الملوك.

وفي موضع آخر من رواية "حتى يطمئن قلبي"؛ ظهرت اللغة الدخيلة في:

"you speak english? " (٣)

وكانت اللغة الإنجليزية هنا مثالا للغة الدخيلة؛ عندما اقتربت واحدة من النساء لتسأل الراوي: هل يتحدث الإنجليزية أم لا؟!.

أما في رواية "ما أنا بكاتب"، فقد ظهرت اللغة الإنجليزية دخيلة في قوله:

"I love you too much " (٤)

وذلك حين ذهب كاظم إلى بيت لويزا؛ بعدما هددتهم شهرزاد، وأخبرها بأنه يحبها كثيرا.

لقد جعل الكاتب اللغة الروائية في رواياته؛ تقترب من الواقع، ومن المتلقي؛ لهذا فقد استخدم اللغة البسيطة الواضحة سردا ووصفا أو حوارا، ثم إن الكاتب استخدم اللغة المناسبة لمستويات الشخصية الثقافية والفكرية والاجتماعية والمهنية، لذا نرى أن استخدامه لمستويات اللغة المختلفة داخل أعماله الأدبية؛ أضفى نسيجا حيويا، وتجديدا في فن الرواية الأدبية، ثم إنه من خلال التجريب في رواياته؛ أضاف اللغة الدارجة أو العامية في رواياته، فكانت اللغة المستخدمة في البيئة الريفية مختلفة عن اللغة المستخدمة في المدينة.

مبنى آخر من المباني الرئيسية التي يجب أن نتوقف عنده؛ يمثل ركنا أساسيا أصيلا في كل عمل روائي؛ هو وصف الشخصيات التي استخدمها السيد حافظ في أعماله الروائية؛ نتوقف عنده؛ لنرى كيف وظف الكاتب تلك الشخصيات، وكيف كان هذا التوظيف جيدا، فاستطاع من خلاله أن يقدم شخصيات تدعم العمل الروائي، وتقوي دعائمه، وتقيم بنيانه.

---

(٢) شاي بالياسمين، ص١٩٠.

(٣) شاي أخضر، ص٣٦٦.

(٤) حتى يطمئن قلبي، ص٢٩٠.

(١) ما أنا بكاتب، ص١٤٨.

فهذا والد لمى؛ يصفها بقوله: "إن وجهها كأن الله خلقه من نور، كانت هي الابنة الوسطى في الأسرة وكأنها في منتصف الكون، كان يتجمع حولها الصبية، كما أن بعض الرجال كان ينظر في عين الطفلة يجدها أنثى مكتملة مختزنة"(١).

لقد وصفها الكاتب بأنها مثل لبنان سحابة وغيمة، وكانت كلما صعدت الجبل تصرخ من أعلاه حتى تسمع صوت تردد صدى صياحها، وحينما مضى بها العمر أصبحت غزالا أربعينيا فهي تغيب عن الأنظار ولكن لا تغيب عن بال الرجال؛ "تختفي فترة من الشهور ولا تختفي من ذاكرة النساء الغيورات"(٢)، فهي كالأفق محتشدة بالسحب، تدخن أحيانا سيجارة وأحيانا شيشة ولكن ليس بانتظام، كانت أيضا حمراء في الشمس من بياض وجهها، وكان سحرها صفة؛ وهبها الله لها، كانت عندما تمر من جوار الرجال ينظرون إليها كأن السحر مسهم، وضحكتها تخطف القلوب.

وعندما تنام لمى لا تفكر فيما فعلت في يومها، وهل هو صواب أم خطأ، كانت جميلة فاتنة، وكانت تحب شراء الملابس؛ لأنها عرفت أن الملابس هي جزء من سحر النساء. كانت تحب الأفكار الغريبة الكبيرة، وليست مخلصة، فهي في قرارة نفسها تقول: إن الإخلاص لا يدوم كما الليل والنهار. كانت الحياة عندها مرحا ودلعا وشقاوة ومغامرة وعملا وثراءً وسفرا وسهرا، وعندما تغضب؛ يتحول صوتها إلى صوت ذكوري أجش.

أما الشخصية الثانية، فهي شخصية وحيد سالم ابن الحاج سالم من حي غربال بالإسكندرية، فها هو ذا، وقد أصبح شابا، فقال: إنه سيكون شيخا بجبة، وسيهدي الناس من الوسواس الخناس. كان خاله يرى أنه سيصير ذات يوم رئيس جمهورية، أو وزيرا، أو على الأقل محافظا للإسكندرية.

كان طفلا صغيرا يحلم بأن يلعب كرة القدم كبقية الأطفال في عمره، أو أن يذهب للبحر، وكان يجلس يراقب والده، وهو يؤذن أثناء نومه. كان يعيش بين عالم حكايات الرجال عن النساء في الصباح، وبين دعاء والده وتسبيحه، وتلاوته للقرآن في الليل. عاش ثلاث حروبا في طفولته وفي شبابه، كان طفلا رجلا لا يلعب مع الأولاد في الشارع ويساعد والده في الثلاثة دكاكين التي يملكها، كان عندما يضيق من المحل والعمل وهو صغير؛ يطلب الإذن من والده ساعة كي يجلس أمام البحر وينظر للماء.

كان ثوريا سياسيا وصحفيا وعمل في جريدة السياسة الكويتية، طويلا عملاقا كما أن لصوته وأسلوبه وطريقته ووجوده وقعا خاصا في قلب حبيبته. هو رجل أسطوري التكوين،

(٢) نسكافيه، ص١٢.
(٣) نسكافيه، ص١٤.

كان وحيد أيضا مدخنا للسجائر، ورئيسا لاتحاد الطلبة أثناء دراسته في الجامعة، وكان فتى لعوبا، يسكن حي السيدة زينب في الناصرية أثناء دراسته مع أسرة بسيطة.

لقد "كنت يا وحيد تحلم بأن تكون نائبه الشاب كنت تحلم بأنك تكون سياسي من المدنيين وليس من العسكر"(١). فوحيد سالم كان رجلا عاديا من عامة الناس، أخبرته عرافة في أحد الأيام بأنه سيتزوج مرتين، وسيعشق الكثير من النساء، وكان يحلم بأن يغير مصر والعرب.

أما عامر زوج لمى، فهو يشبه قادة الحرب الذين يخدعون أنفسهم بأن كل شيء على ما يرام. كان سياسيا أحمق، صوته عال؛ يحتج دائما على السياسيين في لبنان، وعلى توزيع حصص الفئات الدينية. كان مهددا من قبل أحد التيارات السياسية، ومهددا بالقتل من إحدى الجهات في لبنان؛ لذلك فقد كانت الكويت هي وطنه الآمن، فلم يذهب إلى لبنان بعد زواجه مرة أخرى، وحتى إنه لم يسمح لزوجته بالذهاب لإنهاء دراستها الجامعية هناك، وسمح لها أن تكمل دراستها في سوريا.

كان يعمل عامر محاسبا في الكويت عندما ذهب وأخته لطلب الزواج من لمى. كان يحب الاستيقاظ مبكرا؛ كما أنه يحب النظافة بجنون، ويحب الحوار في السياسة والنقاش عن الأحزاب السياسية، وقد تم سجنه في إحدى الدول العربية. لا يحترم السياسيين ورجال الدين، وقد تحدث أيضا عن كفره بالكتب السماوية، بل كان دائما يغسل يده بعد أن يصافح أي شخص، ويهتم كثيرا بكي ملابسه بعد غسلها حتى تطهر من الجراثيم.

كان يحاول أن يرتدي أفخم الثياب حتى لو استدان، فكانت تعود حالة هوس النظافة لديه من أيام السجن؛ حيث كانوا لا يسمحون لهم بالاستحمام إلا مرة واحدة في الشهر. كان عامر في أيام صغره فقيرا من أسرة فقيرة، وكان له حذاء واحد في العام، وقميص واحد؛ لأن أسرته كانت تتكون من عشرة إخوة وأخوات وأب فلاح فقير لا يستطيع أن يوفر لكل منهم احتياجاته.

هي "اسم يعرفه الليل والبحر والشجر وأحلام الشباب المراهقين والعجائز على أبواب الدكاكين والمحلات في الجبل في بلاد الشام.."(٢)؛ تلك هي سهر ابنة السابعة عشرة. كان شعرها غابة من الحرير مغطى بالعطر الإلهي الذي لم يشمه من قبل العصفور لا على الغابات ولا البحور، ولا حتى البشر، وكانت العرافة شهرزاد تقول لوالديها دائما: إنها ستسافر إلى بلاد الذهب والنفط، وستتزوج من رجل ثري، وستفتح لها المدن ألف نافذة نور.

(١) نسكافيه، ص٢٥٥.

(١) قهوة سادة..قهوة زيادة، ص١٣.

كانت كلما اقترب أحد من سهر تقول لهم: إنها حبيبة القمر، ومن يتزوجها يصاب بالعمى، وكان يصدقها الكثيرون ويهربون. ولدت سهر في يوم الاتفاق على الوحدة بين مصر وسوريا. كانت تغسل وجهها، ثم تطعم الحيوانات في منزلهم، وتلقي ببعض الحبوب للعصافير والحمام، وتأخذ نصف ساعة فقط لتفعل هذا، وكانت في كل صباح؛ تقوم بلم فراش المنزل ووضعه على سطح البيت في الشمس كما تطلب منها أمها.

أصبحت سهر تدخن السجائر في عمر صغير أثناء دراستها للثانوية؛ "ودت لو تعيش في ألمانيا لأنها تظن أن ألمانيا مركز الفلسفة والثقافة في أوربا والعالم"(١). كانت تود أن يكون فارس أحلامها طيارا؛ لكي يطوف بها البلدان والعالم أجمع كل سنة. سهر كانت تجعل كل شيء حولها سحرا، وكانت فتاة جميلة تسيطر على قلوب الكثير من الرجال.

كانت تفكر دائما في أنها سوف تتزوج، وتذهب لشراء الكثير من الملابس، وستنفق الأموال بلا حساب، ستذهب إلى الحفلات، والأمسيات للتسلية والمرح، وسيكون لديها بعض الخدم من الفلبينيات أو الهنود، ولن تكون كئيبة مثل أمها التي تتوقع دائما أن ينهار المنزل فوق رأسهم، "ستكون مرحة الروح وتحب الفكاهة والضحك وفي نفس الوقت ستكون مرهفة الحس ستسمع فيروز وستحضر حفلات الموسيقى"(٢).

سهر نشيطة وتمنح المكان الذي تجلس فيه حيوية وكانت كالكمان الذي يعزف ألحانا جميلة، كانت استثنائية الجمال والروح.

أما شهرزاد، فقد قال الراوي عنها: إنها عجوز جميلة ساحرة؛ تعرف شكاوى النساء، وتستمع إليهن، وتنصحهن، وقد قيل عنها: إنها امرأة قديسة لكثرة علمها ومعرفتها. كانت تسكن كوخا بعيدا، كان البيت مبنيا على تل، والتل يطل على القرية، وعلى ذقنها وشم أخضر، بيضاء البشرة، عيناها زرقاوان، وكان شعرها أصفر، ولديها سنتان ذهبيتان؛ تظهران عند الابتسام. قيل عنها: إن جنيا جميلا تزوجها لجمالها، ومنع كل الرجال عنها.

فـ "شهرزاد تحب سهر؛ لأنها تذكرها بشبابها، تذكرها بالجمال الذي فتن العقول في شجن، وألهب خيال الرجال.. شهرزاد ألهب خيالها رجل واحد اسمه حامد الصقر الذي يقف على كتفه صقر"(٣). كانت تنتظره لذا تعودت على الوحدة والانتظار، كانت عندما تمرض في الليل؛ ترغب في أن يرافقها رجل تعشقه، زوج تحبه قبل أن تتزوجه، عندما يذهب النوم من عينيها؛ كانت تتقلب في فراشها. كانت تخرج من المنزل في منتصف الليل؛ لتراقب الأشجار.

---

(٢) كابتشينو، ص١٥.

(١) شاي أخضر، ص٩١.

(٢) قهوة سادة.. قهوة زيادة، ص١٦.

كانت شهرزاد تحب شرب المتة والقهوة السادة، فكانت تضعها على ركوة النار، وتجلس على جلد الماعز أمام الدار. كانت هي سيدة الوجع؛ تسمع قلوب النساء قبل الرجال، ولا تعبأ دائما بالوقت، ولا بالزمن ما دامت المتة والقهوة السادة وزيت الزيتون والجبن والزعتر أمامها، "تنصح وتحكي لمن تحب، وعادة ما تحصل على زوادة من السكر والقمح والتفاح هدية وما أجمل هدايا شهرزاد التي تحب الجميع"(١).

عندما عاد حبيبها وابن عمها حامد؛ خرجت من دارها تحمل بندقيتها أعلى الجبل، وقامت بإطلاق بعض الأعيرة النارية، وهي تصيح بأن حبيبها زين الشباب والرجال قد عاد، كانت عندما تبدأ حكاياتها مع سهر؛ ترتشف القهوة رشفة ورشفتين، ثم تفتح حقيبة يدها، وتخرج منديلا يشبه منديل أم كلثوم؛ يشع بحكايات حب معطرة؛ تمسح به أطراف شفتيها ثم تطويه عدة طيات، وتحتفظ به في يدها اليسرى، ثم تخفيه في ملابسها من الأعلى، وتنظر يمينا ويسارا.

وتبدأ الحكاية من هنا؛ حيث "ترتشف شهرزاد القهوة رشفة.. رشفتين وهي ترتدي ثوبا أنيقا لونه أحمر.. وحذاء أحمر.. تفتح حقيبة يدها تخرج منديلا أحمر يشبه منديل أم كلثوم يشع بحكايات حب معطرة تنتشر فتغطي الخليج"(٢).

شاب في عمر الثامنة عشرة من حي محرم بك بالإسكندرية، مصري الملامح، عربي الفكر وعالمي الإحساس بالجمال؛ كان يذاكر الثانوية العامة في القسم الأدبي، فكان يحب الجغرافيا والتاريخ ويكره الرياضيات والنحو واللغة الإنجليزية، ذلك هو الشاب فتحي رضوان خليل. كان يحلم بالالتحاق بكلية الآثار؛ كي يسافر، ويجوب العالم. ولد فتحي في أغسطس من عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين في اليوم الذي استشهد فيه البطل أحمد عبد العزيز قائد قوات مصر في فلسطين.

كان يحلم دائما بأن يكون الأول في مدرسته، ولكن هذا لم يحدث إلا مرة واحدة في الحادية عشرة من عمره، وعندما كان في المدرسة الابتدائية؛ كان يحلم أيضا بالعيش في فرنسا، والكتابة باللغة الفرنسية مباشرة، وحينما التحق بالمدرسة الإعدادية؛ اتجه إلى التمثيل، وكتب اسكتشات، وأخرجها حتى أذهل المدرسة كلها، ومنحه مدرس اللغة الفرنسية هدية وسط الطابور الصباحي لتميزه في حفل عيد العلم كانت عبارة عن زجاجة عطر.

(٣) كابتشينو، ص١٣.

(١) حتى يطمئن قلبي، ص٤٧.

لقد "فوجئ كذلك مدرس الرسم الأستاذ "إحسان" بأنني كنت محور الرسوم التي رسمها الطلاب عندما طلبوا منهم رسم احتفالية عيد الأم.. الكل رسمني لأنني أنا الذي قدمت شخصية الشيخ فرحات المعلم المظلوم الغلبان الذي يعلم الأولاد الجغرافيا والتاريخ"(١).

كان في أيام دراسته في المدرسة الإعدادية؛ يركب حنطورا بخمسة قروش، ويذهب إلى كتاب لحفظ القرآن، وعندما التحق بالثانوية؛ قدم أوراقه في انتخابات اتحاد الطلبة، وقد رشحه العديد من الطلاب، وتقدم في هذا المجال؛ ليصبح في سكرتارية اتحاد طلاب الجمهورية، وعندما التحق بالجامعة؛ أصبح رئيسا لاتحاد الطلاب. كان خطيبا في الجامعة شابا ناصريا ثوريا قوميا عربي، "كان يخرج للمظاهرات من مدرسة النهضة، وينادي بسقوط إسرائيل ويضرب من الشرطة المصرية.. مثل عبد الناصر الذي تخرج من نفس المدرسة.."(٢).

كان بسيطا وعقيدته؛ هي التوحيد، وعلى الرغم من ذلك؛ كان أيضا شابا لعوبا يتنقل كثيرا بين الفتيات حتى تزوج من تهاني، وعندما تخرج فتحي من الجامعة عمل بالتدريس في مدرسة بنات، فـ "احتفل فتحي خليل بيوم الطالب العالمي في مدرسة الليسيه؛ حيث إنني رئيس اتحاد الطلاب ومعنا نادية حسن رئيسة الاتحاد تلك الفتاة مثل الزجاج رقيقة المهذبة جدا.."(٣).

بدأ يدمن تدخين الشيشة والسجائر. كانت ليلة زفافه في الإمارات، فارتدى أجمل قميص، وأجمل حذاء، ووضع العطر، ثم وضع وردتين في جاكيت بدلته، وعاش هو وزوجته في شقة مشتركة في البداية لغلاء الإيجارات آنذاك في الإمارات التي سافر إليها من مصر؛ ليعمل صحفيا في مؤسسة للصحافة.

إن قوة التعبير ترجع إلى ما تثيره الكلمات والعبارات من معانٍ وصورٍ واضحةٍ في ذهن المتلقي، فاللغة كائن حي؛ تتكاثر فيها الألفاظ؛ لتكون قادرة على مواكبة حياتنا اليومية؛ لأنها أحد أهم الركائز الأساسية للرواية، ومن خلالها تتشكل جميع العناصر الأخرى في العمل الروائي، فالخطاب الروائي لا يمكن أن يتحدد بالحكاية فحسب، بل بما يتضمنه من لغة؛ توحي بأكثر من أحداث وشخصيات مشاركة في الحدث، بل وأيضا بالأماكن والأزمنة التي تدور في أحداثها الرواية، فقد استطاع الكاتب من خلال لغته البسيطة وتجديده في مستويات لغته؛ أن يوصل أفكاره للقارئ/ المتلقي لأحداث الروايات.

(٢) قهوة سادة.. قهوة زيادة، ص٦٢.

(١) شاي بالياسمين، ص١٤٣.

(٢) كابتشينو، ص١١٧.

أما الشخصيات في روايات الكاتب، فقد مرت بالعديد من التطورات والتفاعلات التي قام بالتجديد والتطوير فيها، فقد أضاف السيد حافظ في رواياته فكرة الصراع بين شخصيات الحدث الثانوية والرئيسية؛ مثل الصراع الدرامي الذي دار بين راغب ابن المختار، وسهر الشخصية الرئيسية في سباعية الكاتب، ونقيس على ذلك باقي الشخصيات في هذه الروايات، فقد وُفِّق الكاتب في وضع ملامح هذه الشخصيات إلى حد كبير، وكذلك في اختيار الأدوار المناسبة لكل شخصية من شخصيات الحدث.

الخاتمة:

إن تركيب الوحدات السردية يجعلها تتتابع دراميا، ضمن سياق الأحداث، والمحافظة على وحدة الزمان والمكان، وتناقلها وفق الأمكنة التي تدور فيها الأحداث المتصارعة في بنية الحدث الدرامي، وهذا ما يحيل إلى سلسلة من الأفعال المتعاقبة التي يقوم بها البطل لإشباع حاجة ما؛ مادية كانت أو معنوية، والذهاب إلى مكان خصومة أو شجار، والدخول معهم في مواجهة.

إذا كان البناء الدرامي في الرواية؛ يتكون من عدة عناصر منها الحبكة والحدث الدرامي وحركة الشخوص والزمان والمكان والمفارقة الزمنية واللغة والحوار، فإن العماد الأساس في هذا النوع من البناء الروائي قائم على عنصر الصراع الداخلي للحدث الدرامي والذي يكون من أهم مكوناته الأشخاص التي تتحرك في إطار المكان والزمان مصحوبة بالمؤثرات الفنية والتي من أهمها؛ عنصر التشويق الذي يعتمد درجة مناسبة من التوتر الدرامي، وعنصر المفاجأة والذي لا يمكن أن يتم إلا بلغة مناسبة للسرد الروائي والحوار القائم.

*نوع الكاتب في أسلوب كتابته، وفي لغة السرد في رواياته كثيرا بين اللغة العربية الفصحى واللغة الدارجة الشامية والمصرية والقليل جدا من اللغات الدخيلة.

*استطاع الكاتب أن يعبر عن أحزان وأوجاع الشعب المصري وبعض الشعوب العربية المجاورة، ووصف آلامهم وتحدياتهم اليومية.

*تأثر الكاتب بالمجتمع الذي يعيش فيه؛ حيث أورد لنا الكثير من صور القمع الإنساني الذي تمارسه السلطات العليا في مجتمعه.

*لقد أثبتت هذه الدراسة؛ أن التجريب في الشكل الروائي في أدبنا العربي؛ يستحق أن يخضع لدراسات واعية تقوم بتطبيق المناهج النقدية الحديثة.

والله أسأل؛ أن أكون قد وفقت فيما كان القصد فيه وجه الله، ثم وجه الأدب حفاظاً على لغة كتابنا الكريم، راجيا الله؛ أن يكون لي أجر من اجتهد، فأصاب؛ لا أجر من اجتهد، فأخطأ.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: مصادر الدراسة (أعمال الكاتب):

حافظ، السيد

١. حتى يطمئن قلبي، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.
٢. قهوة سادة.. قهوة زيادة، دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠.
٣. كابتشينو، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط٢، ٢٠١٧م.
٤. كل من عليها خان، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط١، ٢٠١٥م.
٥. ليالي دبي شاي أخضر، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط١.
٦. ليالي دبي شاي بالياسمين، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط١.
٧. ما أنا بكاتب، مركز الوطن العربي رؤيا، القاهرة، ط١، ٢٠١٨م.
٨. نسكافيه، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

ثانيا: المصادر العامة:

١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.
٢. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٣. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

ثالثا: المراجع العربية:

١. أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٤م.
٢. إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه: دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٩، ٢٠١٣م.
٣. الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.
٤. بركات، محمد خليفة، تحليل الشخصية، دار مصر للطباعة، ط٢، ١٩٥٤م.
٥. توفيق، سعيد، في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٦. ربيع، محمد شحاته، علم نفس الشخصية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط١، ٢٠١٣م.
٧. قصاب، وليد إبراهيم، من قضايا الأدب الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.

٨. ناصف، مصطفى، نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط١، ٢٠٠٠.

رابعا: المراجع المترجمة:

١. ب. هينكل، روجر، قراءة الرواية، ترجمة صلاح رزق، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.

٢. باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١.

٣. برادبري، مالكوم، الرواية اليوم، ترجمة أحمد عمر شاهين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

٤. جرييه، آلان روب، نحو رواية جديدة، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف بمصر، القاهرة.

٥. دي سوسير، فردينان، علم اللغة العام، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ط٣.

٦. فاولر، روجر، اللسانيات والرواية، ترجمة أحمد صبرة، مؤسسة حورس للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٩م.

٧. مانغونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

خامسا : البحوث والدوريات:

١. قيسمون، جميلة، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، العدد١٣، ٢٠٠٠م.